



مدخل الى القداس الالهي

قبل البدء بشرح القداس الالهي لا بد من التذكير بأمر مهم جداً وهو ان الهدف الاساسي من اقامة القداس هو المناولة، لذا نقول لمن يقولون انه لا لزوم للذهاب الى الكنيسة مستنديين الى قول الرب: " ادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك في الخفاء" (مت ٦: ٦)، ان الرب يقول ايضاً: "ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣) وهذا لا يحصل الا في القداس الالهي، في صلاة الجماعة مجتمعة. اما الذين يدعون ان "القداس طويل" فلأنهم يجهلون طبيعة القداس ومعناه وحتى طوله، لذلك سوف نشرحه تباعاً. احدى اهم الخصائص التي تميز القداس الالهي الارثوذكسي، وهي خاصة مهمة من صلب الكنيسة الارثوذكسية، هي الصفة الجماعية للصلاة. كل الافاشين والصلوات والطلبات موضوعة بصيغة الجميع لا بصيغة المفرد. فالكاهن، عندما يرفع الصلاة الى الله، لا يرفعها باسمه وحده بل باسم كل الجماعة الكنيسة. مهمة الكاهن الاساسية ان يرفع تضرع الجماعة امام الله وان يقرب الذبيحة باسمهم. لذلك نرى كل الطلبات تنتهي بـ"الى الرب نطلب" وليس "الى الرب اطلب" والشعب يجيب بـ"يا رب ارحم"، حتى في أهم مراحل القداس الالهي، اعني افشين الاستحالة او تحويل القرايين الى جسد ودم المسيح حيث يقول الكاهن: "ايضاً نقرّب لك هذه العبادة الناطقة وغير الدموية، ونطلب ونتضرع ونسأل فأرسل روحك القدس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه واصنع اما هذا الخبر فجسد مسيحك المقدس". ويؤكد الشعب هذا بقوله: آمين.

لذلك لا يقف الكاهن في الكنيسة الارثوذكسية موجهاً وجهه نحو الشعب بل يقف على رأس الجماعة ووجهه في مواجهة الله، لأن مهمته رفع صلاة الجماعة الى الله. يواجههم فقط عندما يتلو الانجيل وينقل لهم بشارة الملكوت، كلام الله، وعندما يعطيهم السلام، سلام الله. هذه الصفة الجماعية للقداس الالهي تؤكد عليها القوانين الكنسية اذ لا يُسمح للكاهن بإقامة قداس الهي الا اذا وُجد شخصان على الأقل لأنه كيف يكون حديث عن شركة مع الآخرين ومع الرب دون وجود شعب، "لأنه حيث اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠).

يسمى القداس الالهي "الافخارستيا" او "سر الشكر". كما ذكرنا اعلاه نحن نقدم الذبيحة لشكر الله على كل ما اعطانا ونشترك في هذه الذبيحة لشكره على "كل الاحسانات الواصلة اليها التي نعلمها والتي لا نعلمها الظاهرة وغير الظاهرة" (من الكلام الجوهرية). يسمى

القداس ايضاً "مائدة الرب" او "مائدة الملكوت". نحن نذهب الى القداس لكي نشترك في مائدة الرب. الهدف الاساسي من القداس الالهي هو الاشتراك في هذه المائدة، الاشتراك في المناولة. ونود التشديد على هذا الامر، لكننا لا نود ايضاً ان تصير المناولة عادة، أي اننا نتقدم الى المناولة فقط لان كل الناس يتدافعون اليها . المناولة تتطلب تحضيراً من قبل المؤمن: اقله يجب ان يكون في مصالحة مع الله ومع الناس ومع نفسه. واذا كان المؤمن يعتبر ان المناولة امر مهم فهذا حافظ قوي لكي يكون في سلام مع الجميع لأن لا احد يريد ان يكون خائناً للرب لحظة تقدّمه للمناولة: "وانت اذا قدمت قربانك الى المذبح وتذكرت ان لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب او لا اصطحب مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥: ٢٣ - ٢٤)، و"ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لان الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١ كو ١١: ٢٨ - ٢٩). والتحضير ايضاً يكون بامساكنا عن الطعام من مساء اليوم السابق للقداس (ما عدا المرضى والشيوخ والاطفال طبعاً). كذلك التقدم الى المناولة، بل الدخول الى الكنيسة يجب ان يكون بشكل محتشم ولاثق لأننا في حضرة الله.

اخيراً نقول ان التحضير لقداس يوم الاحد لا يتم في الساعة الثامنة من صباح الاحد، بل منذ يوم الاثنين اول الاسبوع لينتهي يوم الاحد. هدف حياتنا هو ملاقاته الرب وتذوقه، ونحن نعيش على هذا الرجاء، وهذا يحصل يوم الاحد خلال القداس الالهي، لذلك نضع نصب اعيننا القداس الالهي ونتشوق للوصول اليه. اما الاهل الذين يدعون ان اولادهم لا يسكتون في الكنيسة او يضجرون فعليهم ان يعودوا اولادهم ويهيئهم نفسياً لكي يصيروا مستعدين ومتحمسين لحضور القداس الالهي يوم الاحد. يجب ان نعلمهم ان القداس اهم من النوم او النزهة. الراحة ضرورية لكن راحتنا هي اولاً في الرب الذي هو مصدر كل راحة. نحضر القداس ونتزود بالرب نفسه الذي هو ينبوع كل خير وكل صلاح وكل فرح ومحبة وحب وجمال ثم نذهب الى حيث نريد والرب يعطينا ما هو خير لنا: "اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وكل شيء آخر يعطى ويزاد لكم" (مت ٦: ٣٣). ومن اراد ان يغتني فبالرب اولاً لأنه الغنى الحقيقي.